علم اللغة الحديث
وأثره في توقيع هوية النقد الأدبي المعاصر

الأستاذ: علـــي دغمـــان
قسم اللغة العربية وآدابها
معهـــد الآداب واللغات
المركز الجامعي الوادي

مفتتح

تسعى هذه المداخلة إلى الكشف عن الإمكانيات العميقة التي منحتها نتائج البحث اللساني للنقد الأدبي المعاصر، ومن ثم منحه هويته التي يتمتع بها في زمننا الحالي. منطلقين من جزئية واحدة، هي المفهوم الذي حدّده "**دي سوسير**" لـــ: «**علم اللغة**»، الذي عُدّ بمثابة الإنجيل، ليس للدراسات اللغوية فحسب، إنما اتّسع لحقل الدراسات الإنسانية جميعها، بما في ذلك النقد الأدبي، موضوع مداخلتنا الحالية.

التيه

رغم أنّ النقد إجراء لساني[1]، في المقام الأول، غير أنه لم يتمكّن من فهم أهدافه وغاياته بطريقة تجعله يتخلّص من كل جاذبية تُذكر، حتى يخلص إلى مهمته الأولى، أثناء تعامله مع النص، وهي فحص اللغة وآثارها المُمكنة، داخل النص، بل دخل التيه، وظلّ مُشتّتًا بين دهاليزه، وانتظر طويلاً مجيء "**دي سوسير**" حتى يخلّصه من أزمته.

بدء الاعتراف

غير أنّ العلم الذي من المفترض به أن يخلّص النقد من محنته، هو نفسه ظلّ ينتظر مخاضه زمنًا طويلاً، إذ اعترف "**دي سوسير**" في مستهلّ كتابه: « **de la Cours linguistique générale**»، من أنّ علم اللغة الذي يريد إليه، تمخّض عن ثلاث مراحل، تناولها "**دي سوسير**" وفق التحديدات الآتية:

المرحلة الأولى

اتّسمت بهيمنة "**النحو**" على محصلة الدراسات ذات الطابع اللغوي؛ والنحو علم تمتدّ جذوره إلى اليونان، أخذه عنهم الفرنسيون، يهدف إلى: «**وضع القواعد التي تميز بين الصيغ الصحيحة، وغير الصحيحة**»[2] للغة.

المرحلة الثانية

اتّجهت فيها الدراسات نحو "**فقه اللغة**"، وهو علم يهتمّ فيه أصحابه بـــ: «**تصحيح النصوص المكتوبة وشرحها والتعليق عليها،**» فضلاً عن اهتمامهم «**بالتاريخ الأدبي، وبالعادات والتقاليد، والنظم الاجتماعية وغيرها،**» مُستخدمين، لأجل ذلك، «**أساليب النقد في دراستهم وكان هدفهم، من دراسة المسائل اللغوية، مقارنة النصوص، التي كتبت في فترات زمنية مختلفة، لمعرفة اللغة التي يختص بها كل مؤلف من مؤلفي النصوص، ولحل رموز بعض اللغات القديمة الغامضة وتفسيرها.**»[3]

المرحلة الثالثة

تميّزت بظهور "**فقه اللغة المقارن**"، خاصة حينما تأكّد الدارسون، في تلك الفترة، من إمكانية «**مقارنة اللغات، التي تنحدر من أصل واحد،**» وبالتالي، «**تفسير لغة باللجوء إلى لغة أخرى، وتوضيح صيغ لغة ما، بالاعتماد على صيغ لغة أخرى**»[4] وما المقارنة «**إلا أسلوب أو وسيلة لإعادة بناء الحقائق اللغوية.**»[5]

اعتراف البدء

واعترف، في الوقت نفسه، أنّ سبب تأخّر قيام علم يدرس اللغة، بالمبادئ الإجرائية التي سيحدّدها، ويتحدّد بها، يرجع إلى العلوم السابقة، فهي إن أسهمت، بشكل أو بآخر، في تشكّل نواة ما سيسمى لاحقًا بـــ "**علم اللغة**"، غير أنها حملت في نفسها بذور هدمه، أو غيابه؛ وبالتالي فقد اعترف من أنّ "**علم اللغة**" كان يدرس أي شيء غير اللغة، مُقدِّمًا، لأجل ذلك، المبرّرات الآتية.

القواعد

رغم أنّ النحو عالمي الطابع، وقديم قدم الحضارة، غير أنه:

1- يفتقر إلى النظرة العلمية، رغم اعتماده على المنطق.

2- فهو معياري، إذًا، يبتعد كثيرًا عن الملاحظة الصحيحة للحقائق.

3- وبالتالي، فمجاله محدود، وضيق

4- فضلاً عن أنه لا يلزم نفسه بدراسة اللغة في حدّ ذاتها. [6]

فقه اللغة

رغم أنّ هذه الدراسة مهّدت لنشوء «**علم اللغة التاريخي**»، الذي يُعدُّ جزءًا من الدراسة اللغوية، غير أنّ "**فقه اللغة**" يُفصح، بحسب "**دي سوسير**"، عن عيوب، أوّلها:

1- أنّ اللغة ليست الهدف الوحيد لهذه الدراسة.

2- ثم إنّ مدار الدراسة يعتمد اعتمادًا كليًّا على اللغة المكتوبة.

3- فيما ينحصر اهتمامها في اللغتين: الإغريقية واللاتينية القديمة.[7]

فقه اللغة المقارن

أرجع "**دي سوسير**" فشل "**فقه اللغة المقارن**" في تأسيس "**علم اللغة**"، رغم اعترافه له بإسهامه الوافر في تأسيسه له؛ بوصفه رافدًا له، إلى أسباب منها:

1- إهماله البحث في طبيعة الموضوع الذي يدرسه.

2- قصر الدراسة على المقارنة دون تناول الناحية التاريخية[8].

هامش رقم(1)

وفي المقابل سوف نجد أنّ "**النقد**" ردّد الاعتراف الأخير نفسه، وإن لم يقرّ حرفيًّا بها، أي بصيغة عملية، نلمسه في النظريات النقدية الشائعة في تلك الفترة، والتي نُجملها في مصطلح: "**النقد السياقي**"، وهو ذلك النقد الذي: "**يسترفد نظريات المعرفة الإنسانية لمحاورة النصوص، مستفيدًا من مطارحاتها الفكرية المختلفة. ومن ثم فهو ينطلق من النص إلى خارجه ثم يعود إليه بما استحصد من معرفة. إنها العملية التي تعطي للسياق أولية على النص، وتجعل هذا الأخير تابعًا له يدور في فلكه.**"[9]

وفي كلمة: اهتمّ "**النقد**"، على غرار "**علم اللغة**"، بالنص ليس في ذاته، ولأجل ذاته، إنما بوصفه تمثيلاً، أو صورة تعكس صاحبها، بمعنى اهتمّ النقد بصاحب النص على حساب النص، ومن ثم، تعاملوا مع جماليات النص، مع اللغة في تشكيلاتها: الأسلوبية والتصويرية والإيقاعية المُمكنة، فقط كونها صدى يتردّد عن صاحبها، فكان النقد التاريخي والنفساني والاجتماعي، بحث في الظروف والملابسات والأحداث التي دفعت بصاحب النص إلى تخريج نصه بالنمط الكتابي الحادث، وكيف عكس النص تلك الظروف والملابسات والأحداث بطريقة تماثل/ أو تباين صورة/ أو صوت صاحبه، ومنه قُدّم صاحب النص، وأخِّر النص في حدّ ذاته، مما يختزل الجهد النقدي، "**في أحد اتجاهين: إما**

أن ينطلق من الأثر إلى الأديب، أو ينطلق من معلومات تاريخية حول الأديب" أو اجتماعية أو نفسية "**ليفكّك بها أسرار النص نفسانيا**"[10] أو اجتماعيًّا أو تاريخيًّا.

هامش رقم(2)

وبما أنّ الصوت أفضل من الصدى، فقد أصبح النص/ وصاحب النص مدار الاهتمام النقدي، ومنه يُمكن ترتيب النص الأدبي في منزلة مركزية، طالما يستحوذ على الاهتمام كلّه، وظلّ النص النقدي/ وصاحبه في منزلة دنيا، إن لم نقل هامشية، طالما اهتمامه يبقى مُنحسرًا في الدرجة الثانية، أي ينظر إليه كواسطة لفهم النص الأدبي، ومنه شاعت مسميات: الإبداع، المبدع، الأثر الأدبي، بالنسبة للنص الأدبي، ومسميات: وسيط، شارح، لغة ثانية، أديب فاشل، بالنسبة للنص النقدي.

نص الاعتراف رقم(1)

أثناء هذه الظروف انبثق صوت "**دي سوسير**" معلنًا استقلال "**علم اللغة**"، إذ يُقرِّر قيامه بوصفه علمًا مستقلاً قائمًا بذاته، موضوعه: «**الوحيد والصحيح هو اللغة معتبرة في ذاتها ومن أجل ذاتها.**»[11]

وبالتالي فهو علم لديه مقولاته المفهومية والإجرائيه التي تُحدِّده، ويتحدَّد بها، ومنذ تلك اللحظة بدأ النقد الأدبي يُحدِّد معالمه النظرية الدقيقة والواضحة، إذ أسهمت هذه المقولة في تحديد هويته التي ستوقّع حضوره، وتمنحه امتلاءًا في مدونة المعرفة الحديثة والمعاصرة.

هامش رقم(3)

فالتعريف السابق سوف ينفتح على قضايا تثير إمكانيات مفهومية، تعمّق الوعي النقدي، بشقّيه النظري والإجرائي، نرتّبها وفق الرؤى الآتية:

1- تحرّر النص من هيمنة صاحبه، والنظر إليه، وفحصه، بوصفه مكوّنًا بنيويًّا كاملاً ومستقلاً بذاته. الأمر الذي أعلى من سلطة النص على حساب صاحبه، بل انتهى إلى حدّ استباحة دمه، فلا سلطة لغير النص.

2- ثمّ فحص النص، الداخل النصي؛ انطلاقًا من مقولاته اللغوية والجمالية، وعدم الالتفات إلى الخارج النصي؛ لأنّه انكفاء على النقد القديم؛ النقد الذي يهتمّ إلى صورة صاحب النص؛ إلى انعكاسه انطلاقًا من النص، وليس إلى النص في حدّ ذاته.

3- وبالتالي إعادة النظر في المقولات التي تفحص نسيجه انطلاقًا من مكونه البسيط، أي المفردة، في بنيتها الإفرادية، ثمّ في علاقاتها مع البنى المتعدّدة في النص.

4- الأمر الذي حتّم على النقد أن يُعيد السلطة للعلامة اللغوية، كونها البؤرة التي يتشكّل منها النص الأدبي، انطلاقًا من علاقاتها السياقية والوظيفية، والمنظور الذي ينفتح منه النص على أي تحليل نقدي.

5- ومنه فقد يتجاوز النقد حدود العلامة، إلى الآثار الدلالية للعلامة، أي إلى المستويات السيميولوجية، التي يُثيرها، أو ينفتح عليها التحليل النقدي للعلامة اللغوية، داخل النص، ليس بوصفه كينونة أدبية، بل كونية، تستحيل فيها العلامات والرموز، إلى أنظمة دلائلية، تتّسع أكثر، فأكثر.

نص الاعتراف رقم(2)

إنّ إعادة الاعتبار للعلامة اللغوية وبُعدها الوظيفي في بناء النص الأدبي، هذا البعد الذي يسعى إلى "**تأليه**" النسق اللغوي، حيث يمنحه موقع السيادة المطلق، ومن ثمّ إخراج اللغة من سياقها الوظيفي كأداة للاستعمال إلى سياقها الريادي الجديد، كونها: محدّدًا للفكر وشرطًا له. وإذا كان "**الفكر الديكارتي**" يُثمّن قيمة "**الذات المفكرة**"، فإنّ تحديد "**دي سوسير**" لـــ "**علم اللغة**"، سوف يجعل من "**الذات المفكرة**" نفسها كيانًا مشروطًا بنسق العلامات، أي محكومة باللغة "**بوصفها نسقًا أو نظامًا سابقًا على الكتابة**"، وبالتالي سوف يتحدّد مسار العرف النقدي انطلاقًا من فكرة أنّ "**بنية اللغة هي التي تُنتج الواقع من خلال عمليات التعارضات التي تحكم اللغة فلا يتحدّد المعنى في هذه الحال إلاّ من خلال النظام اللغوي الذي يحكم الفرد.**"(12)

غير أنّ النقد الأدبي لم تقنعه النظرة الضيّقة إلى اللغة، النص الأدبي، التي فرضتها اللسانيات قسرًا، إذ تُصوّر اللغة كونها مدرك مجرد تمثّله قوانينه الخاصة، وبالتالي فهي تنظر إليها كشكل من أشكال الحدوث المفترضة، ممّا جعلها تُقصِّر جهدها على الجملة، ومنه فقد حاول التوسيع من تلك النظرة القاسية، والالتفات إلى الإنتاج الكلي للكلام، مُتّجهًا إلى المحدث فعلاً، بهدف التعرّف على الأثر الذي تخلّفه اللغة في نفس المتلقي، ومنه سوف يُسجِّل النقد الأدبي حضورًا نوعيًّا، نلمسه في مسمى: «**الأسلوبية**».(13)

اعتراف النص

وبالتالي عرفت المقاربة النقدية توزيعًا جديدًا للسلطة تراوحت بين النص، لحظة الكتابة، وبين الناقد، لحظة القراءة؛ فالنص يمارس سلطته على الناقد من جهة جمالياته المتوافرة حتى يبثّ فيه فعل الدهشة والإيهامية، وبالتالي الانغلاق، والناقد يمارس سلطته على النص من جهة كونه كاتبه الجديد، الذي يُعيد إنتاجه وكتابته وفق صلاحيات المُمكن المتوفرة: المقولات النظرية والإجرائية للمنهج، كونها الإطار الممفهوميي المحدّد الذي يضبط منظور الناقد ويُحدِّده، فضلاً عن الأبعاد **الأنطولوجية والإستيتيكية والإبستيمولوجية** التي تُؤدّي إلى انفتاح النص، ومن ثمّ إنتاجيته، وفق رؤى الناقد المُمكنة، أو العكس؛ لأنّ الإنتاجية: "**حوار بين خطابين: خطاب أدبي وآخر نقدي، قد يتفوّق الخطاب الثاني على الأول، وقد يساويه، أو يوازيه، أو يهبط عنه، وفقًا لقدرة القارئ وخبراته اللغوية والجمالية، واستجابته القرائية.**"[14]

سلطة النص

وعليه نفهم السبب وراء إثارة ثنائية مهمّة في مدونة النقد الأدبي الحديث من قبيل: المؤلف/ النص، فقد أباح النقد الحداثي دمه[15]، على أساس أنّ علاقته تلتزم بالنص وحده، إذ اهتم بتحليل النص الأدبي سعيًّا وراء النموذج الذي يختزل نمط الكتابة، موضوع النقد، على نحو ما ذهب إليه "**بروب**"، و"**ليفيس شتراوس**"، حيث انصرف جهد كلّ واحد منهما، في الحكاية الشعبية وطقس السلوك البشري، إلى حصر نمط الكتابة في نموذج يختزل الجنس الأدبي أو ينبثق منه، بل تاريخ تشكّله. إذ "**لم يعُد منوطًا بالنقد أن يُقدِّم شهادة ميلاد للمبدع، يتابع تاريخ ميلاده، ويقفو مراحل حياته، ويكشف عن ميوله الشخصية، كما لم يعد تسجيلاً لوقائع مرّ بها الأديب أو المبدع. لقد بات عمل النقد، اليوم، مساويًا لعمل المبدع، أو هابطًا عنه، أو متفوّقًا عليه حسب قدرة القارئ، فهو قراءة للبنى العميقة في النص، ومحاولة لتسويغ جمالياته، وإسهام في فك شيفرته ورمزوه.**" [16]

نص السلطة

ومن ثمّ منحت السلطة كاملة للناقد، يُمعن يده في النص كيفما أراد، طالما أنه لم يخرج عن الحدود **الأنطولوجية والإبستيمولوجية والإستيتيكية** المتّفق عليها في محصّلة التأويل الحالية، ممّا أهّل الناقد لأن يكون صاحب سلطة فعلية وعملية، وأن يُؤكِّد حضوره

كونه فاعلاً، وليس مجرّد حالة أو منزلة يقتصر جهدها على تثمين النص الأدبي إذا لم يجد من يُقدِّر منزلته في زمانه[17].

لا تمثِّل هذه السلطة تتويجًا يعكس بريق الناقد الجديد، أو تخلٍّ عن مكانة المؤلف للناقد نتيجة جرأة الثاني وصرامة صوته، إنما نتجت عن إيمان النقد المعاصر، بأنّ النص "**بنية مكتفية بذاتها**"، أي إنها تمتلك أعراف تفسيرها بنفسها ولأجل نفسها، ومنه نفهم سبب متابعة النقد لطبيعة النظام اللساني الذي يُوجِّهه العقل بطريقة لاواعية، في النص، بالوصف والتحليل؛ لأنّ النص "**عملية تجسيد لنظام اللغة**"؛ وأنّ "**اللغة مُنتجة للمعنى وليست حاملة له فقط**"[18].

ومنه تأسس «**النقد البنيوي**»[19]، كما هو واضح، متمثّلاً مقولتي: «**النسق**»/ أو «**النظام**» عند "**دي سوسير**"، والـــ «**لا وعي**» عند "**فرويد**"، الذي تشدّد بوجوب الالتزام بفحص شكل الكتابة؛ إذ عدّه وصفًا لطبيعة النظام اللغوي، وكشفًا عن طابعه العقلي، "**وبهذا يتّضح أنّ الشكل اللساني هو الذي يُنتج المعنى، وليس العكس؛ لأنّ هذا الشكل يحتفظ بتدوين ذلك اللاوعي المُنتج لأنظمة اللغة.**"[20]

إنّ تغليب المستوى اللساني، كما التزمه النقد البنيوي، على المستوى الجمالي، مُغفلاً مقولته من: أنّ النص كلاًّ بنيويا متكاملاً، ومن ثم انغلاقه على نفسه، أثناء تحليل النص، واهتمامه بقضايا لسانية تعدّ جزئية من النص، وليست النص كلّه: "**وبهذا تصبح المشكلات اللسانية التي ينطوي عليها النص هي التي تقرر المعنى الأدبي وهذا ما سوف تنتقده نظريات القراءة، وجماليات التلقي**"[21] في زمن لاحق، نلمسه في تهويل صورة القارئ على حساب النص/ وصاحبه، بحيث يتمظهر بوصفه حضورًا مطلقًا، أثناء الفعالية النقدية؛ إذ يصبح: "**وحده المنوط بخلق المعنى ومن دونه لا يوجد نص أو لغة أو علامة أو مؤلف.**"[22]. وهو إيذان بولوج النقد مرحلة: «**نظريات القراءة**»[23]، وهو زمن يتميز كون النقد منتجًا للأدب.

السلطة المفتوحة

إنّ الفكرة المحورية التي يحيل عليها مفهوم "**علم اللغة**" عند "**دي سوسير**" هي دراسة المعطى اللغوي دراسة داخلية تبحث في مكوناته وعلاقاتها الوظيفية الناظمة بينها. إنه تحوّل مفاهيمي جذري انتقل من تناول "**السبب**" و"**الباعث**" إلى تناول "**البناء**" و"**الوظيفة**"، وهو تحوّل فيه كثير من خصائص الانقلاب الجذري؛ إذ تحدّد النظر في دلالة

المعطى اللغوي كونها نتاج علاقات نسقية وظيفية داخلية، ومن ثمّ استبعاد التاريخ والتقليل من قيمته، والتقليل من قيمة الإحالة على خارج النسق والبنية. وهذا ما سيجعل الدرس النقدي الأدبي المتأثر بـــ "**دي سوسير**" يلتزم بضرورة معاملة المعطى الأدبي كفضاء مغلق يمتلك استقلاله الذاتي عمّا هو خارجه، وبذلك يتمّ استبعاد كلّ إحالة سيكولوجية أو سوسيولوجية على خارج النص؛ لأنّ عالم الدلالة حسب فلسفة "**دي سوسير**" عالم يتّسم بالاستقلالية والانتظام الداخلي والاكتفاء بالذات، هذا على الرغم من كون "**دي سوسير**" نبّه إلى ما سمّاه بـــ"**اللغويات الخارجية**" المهتمّة بعلاقة اللغة بالمؤثّرات السياسية والسيكولوجية والتاريخية. "**فحين يدرس العلم المعاصر أية مجموعة من الظواهر، فهو لا يعالجها كتكتّل آلي، بل ككلّ بنيوي، والمهمة الأساسية هي الكشف عن القوانين الداخلية لهذا النظام سواء أكانت قوانين ثابتة أم متطورة. فلم يعد المثير الخارجي مدار الاهتمام العلمي، وإنما المقدمات الداخلية للتطور بحيث يفضي، الآن، التصوّر الآلي للعمليات إلى مساءلة وظائفها.**"[24]

غير أنّ "**دي سوسير**" لم يقتصر، في تعريفه لـــ «**علم اللغة**»، على «**المحور التزامني**»، الذي يقصد به: دراسة اللغة بوصفها نظامًا في عصر معين، بل قابلها بمحور ثان، هو «**المحور التعاقبي**»، الذي يقصد به: دراسة اللغة بوصفها تطورات وتحولات تاريخية، ومنه فقد نشأ تيار نقدي آخر، يُمكن عدّه تيارًا يعارض الأول، إذ نادى بضرورة إشراك التاريخ بوصفه قوّة مُؤثّرة في تحديد الدلالة، وبالتالي سوف يُشكِّل هذا الاختلاف، العارض، مُنفرجًا جديدًا، من شأنه أن يُوسِّع المسار النقدي المعاصر، إذ سوف تُؤذن محاولة التوفيق بين المحورين: «**التزامني**»، و«**التعاقبي**»، أثناء فحص مقولات النص الأدبي، بالخروج من أزمة النقد «**البنيوي**»، ودخول مُعترك جديد اصطلح عليه بمسمى: «**الشعرية**»[25].

الإله الجديد

تجاوزت جهود "**دي سوسير**" العلامة اللغوية، إلى ما وراءها، أي متابعة آثارها، فانتهى إلى أنّ الوجود بكلّ أنماطه وتنوّع أشكاله محكوم بنظام العلامات ونسقها البنائي، فتصوّر علمًا، أطلق عليه مسمّى السيميولوجيا، عدّه بمثابة العلم الأصل، الذي تندرج ضمنه اللسانيات بوصفها فرعًا له، أو جزءًا منه، وتصوّر، في المقابل، أنّ السيميولوجيا، لن تُهيمن بقواعدها ومفاهيمها وطرائقها المنهجية على النص الأدبي فقط، إنما سوف

تتجاوزه إلى كيفيات فهم الوجود؛ لأنّ السيميولوجيا سوف تنظر إليه بوصفه نسقًا من العلامات.[26] وبالتالي لا يُمكننا أن ندرس أي شيء في الكون، يؤكِّد "**بيرس**"، كـــ: "**الرياضيات، الأخلاق، الميتافيزيقا، علم الأحياء، الجاذبية، والديناميكا الحرارية، البصريات، الكيمياء، التشريح المقارن، الفلك، علم النفس، علم الأصوات، الاقتصاد، الترايخ، العلوم، لعبة الورق، الخمر، علم الأرصاد الجوية، إلا كموضوعات للسيميائيات.**"[27]

وحينما عمد "**رولان بارث**" إلى قلب تصوّر "**دي سوسير**" السابق، وبالضبط، حين قرّر أنّ اللسانيات، بوصفها أكمل الأنظمة العلاماتية، هي الأصل، وأنّ السيميولوجيا فرع منها، عُدّ اعترافه بمثابة التوقيع الجديد لمرحلة أخرى سوف يبلغها النقد، والتي اصطلح عليها بـــــ«**النقد السيميائي**»[28]، والتي سوف تخرج منها، بالسرعة نفسها، أو أقلّ منها، لتلج مرحلة النقد «**التفكيكي**»[29]، مباشرة بعد قلب "**جاك دريدا**" لمقولة "**بارث**" السابقة، وذلك حين أحلّ الكتابة محلّ اللغة، ومنه فقد أعلن أنّ "**الغراماتولوجيا**"؛ الكتابة بوصفها أثرًا[30]، هي سمة الإشارة الكبرى، وينبغي أن تكون الأصل الذي تتفرّع عنه "**السيميولوجيا**" و"**اللسانيات**".

خاتمة

أثمرت جهود "**دي سوسير**" أثناء محاولته الجريئة في تحديد هيكل ثابت لـــ "**علم اللغة**"، إلى تجديد ذهنية النقد الأدبي المعاصر، انطلاقًا من مفهوم "**علم اللغة**"، إذ أسهمت أطروحاته في تحديد أهداف وغايات النقد الأدبي، انطلاقًا من بلورة الوعي النقدي بالمفهوم والمنهج، وبالتالي فتح الباب واسعًا أمام "**النقد الأدبي**" كي يمارس فعاليته بخطًى ثابتة، انتزعت أحقيتها على مدار الممارسة والتجريب.

مراجع المداخلة

1)- يؤكّد هذه الحقيقة الاعتراف الذي سجّله "**ياكوبسون**"، وهذا نصه: "**جميعنا الآن متأكدون أنّ اللغوي الذي يصمّ أذنيه عن الوظيفة الشعرية للغة، والباحث الأدبي اللامبالي بالقضايا اللغوية وغير المطّلع على الطرائق اللغوية هما أشبه بمفارقات زمنية واضحة.**" نقلاً عن حبيب مونسي: نقد النقد، المنجز العربي في النقد الأدبي، قراءة في المناهج، منشورات دار الأديب، وهران- الجزائر، (د.ط)، 2007م، ص170.

2)- Ferdinand de Saussure : Cours de la linguistique générale, Édition Payot, Paris, 4éme Éd, 1949, p19.

3)- Ibid.
4)- Ibid. p20.
5)- Ibid. p22.
6)- Ibid. p19.
7)- Ibid.
8)- Ibid. p21.

9)- حبيب مونسي: م. س. ن، ص، ص6.

10)- عبد السلام المسدّي: النقد الأدبي وانتماء النص، مجلة علامات، ج3، م1، يونيو1992م، ص11.

11)- Ibid. p317.

12)- عبد الناصر حسن محمد: نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة- مصر، (د.ط)، 1999م، ص40.

13)- منذر عيّاشي: الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، ط1، 2002م، ص9.

- غير أنّ الأسلوبية، عكس المناهج النصية الأخرى، لم تعرف طريق الخلاص من سادية اللسانيات بعد، فأصبحت شبه تابع لها، لا يُعترف لها بصوتها في حضرة اللسانيات، فإذا كان "**ميشيل أريفيه**"، يقرّ بأنّ: "**الأسلوبية وصف للنص الأدبي حسب طرائق مستقاة من اللسانيات.**" بطريقة ملتوية، فإنّ "**دولاس**" يؤكّد صراحة أنّ: "**الأسلوبية تُعرف بأنها منهج لساني.**" يتابعه "**ريفاتير**"، بنبرة أقرب إلى الفلسفة، مبالغة منه في مداراة التشويه الجيني للأسلوبية، إذ يعترف بأنّ: "**الأسلوبية لسانيات تُعنى بظاهرة حمل الذهن على فهم مُعبِّر وإدراك مخصوص.**" نقلاً عن، عبد السلام المسدّي: الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، ط2، 1982م، ص48-49.

14)- بسام قطّوس: إستراتيجيات القراءة: التأصيل والإجراء النقدي، مؤسسة حمادة، ودار الكندي، إربد- الأردن، (د.ط)، 1998م ، ص13.

15)- حيث صرّح "**بارث**" بهذا الصدد: "**مازال المؤلف يتضاءل حتى لكأنّه تمثال صغير وضع في الطرف النهائي من المشهد طبقًا لما يقول بريخت[...] إنّ النص ليصنع من الآن فصاعدًا ويقرأ بطريقة تجعل المؤلف غائبًا عنه على كلّ المستويات.**"
-Roland Barth; The death of the author, p143.

16)- بسام قطّوس: م. ن، ص11.

17)- في سنه **(1958)** ظهرت في إيطاليا رواية بعنوان: «**الفهد**» لكاتب غير معروف(**جوزيبَي توماز دي لامبيدوزا**)، إذ كانت الرواية تجربته الأولى والأخيرة، فمات دون أن يراها مطبوعة. وحين علم بها الناقد **(جورجيو بساني)** طلب مخطوطة من عند أرملته، فكتب لها مقدمة أوضح فيها مفاتيحها للقارئ، وقدّمها للنشر، فبلغت طبعتها الثامنة عشر، بعد ستة أشهر فقط من صدورها، أي بمعدل ثلاث طبعات في الشهر، لتنتهي بعد عامين عند الطبعة التاسعة والستين. يُنظر، عيس الناعوري: نحو نقد أدبي معاصر، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، (د.ط)، 1981م، ص5-6.

- والقراءة التي تقدّم بها الناقد، لم تخصّ النص في ذاته، ولأجل ذاته، إنما أراد بها التعريف بعبقرية الكاتب، من خلال النص، أو ربما قصد، كذلك، إلى التعريف بجماليات النص، لكن قصد الناقد لم يكن متجهًا نحوها، إنما انصبّ نحو الكاتب في المقام الأول.

18)- عبد الناصر حسن محمد: م. س. ن، ص31-33.

19)- ينطوي مفهوم البنيوية على معنيين، يمُكن عدُّ الأول واسعًا، وهو كونها: "**طريقة بحث في الواقع، وليس في الأشياء الفردية، بل في العلاقات بينها.**" روبرت شولز: البنيوية في الأدب، ترجمة حنّا عبّود، اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق- سوريا، (د.ط)، 1984م، 14.

- في حين يُمكن عدُّ الثاني خاصًّا، وهو: "**محاولة نقل النموذج اللغوي إلى حقول ثقافية أخرى.**" عبد الله إبراهيم: معرفة الآخر، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط$_1$، 1990م، ص41.

20)- عبد الناصر حسن محمد: م. س. ن، ص34.

21)- م. ن، ص36،

22)- م. ن، ص57.

23)- نظرية القراءة، وهي فعالية تُعنى بتفعيل دور القارئ بغية إنتاج النص، بحيث يُمكن عده النص في حدّ ذاته، أو مجموعة نصوص؛ لأننا أثناء "**القراءة نصب ذاتنا على الأثر، وأنّ الأثر يصب علينا ذواتًا كثيرة فيرتدّ إلينا كلّ شيء في ما يشبه الحدس والفهم.**" لتغدو القراءة، وفق هذا التصور، فعلاً خلاّقًا: "**يُقرّب الرمز من الرمز، ويضم العلامة إلى العلامة، ويسير في دروب ملتوية جدًّا من الدلالات نصادفها حينًا ونتوهمها حينًا فنختلف اختلافًا.**" يُنظر، م. ن، ص64- 65.

24)- رومان ياكوبسون: الاتجاهات الأساسية في علم اللغة، ترجمة: علي حاكم صالح، وحسن ناظم، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط1، 2002م، ص13.

25)- يُحدِّد "**تزفيتان تودوروف**" الشعرية انطلاقًا من الإمكانيات التي يفتعلها نظام النص اللغوي، بغية اجتراح حضوره البنيوي الجمالي، وبالتالي فـــ " **ليس العمل الأدبي في حدّ ذاته هو موضوع الشعرية، فما تستنطقه الشعرية، فما تستنطقه هو خصائص هذا الخطاب النوعي الذي هو الخطاب الأدبي. وكل عمل عندئذ لا يعتبر إلا تجليا لبنية محددة وعامة وإنجازا من إنجازاتها الممكنة. ولكل ذلك فإن هذا العلم لا يعنى بالأدب الحقيقي بل بالأدب الممكن، وبعبارة أخرى يعنى بتلك الخصائص التي تصنع فرادة الحدث الأدبي أي الأدبية**" تزفيتان تودوروف: الشعرية، ترجمة : شكري المبخوت، ورجاء بن سلامة ،المعرفة الأدبية، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1،1987م، ص23.

الأمر الذي يُخرِّجها بوصفها: **"الدراسة المنهجية التي تقوم على نموذج علم اللغة للأنظمة التي تنطوي عليها النصوص الأدبية، فهدف الشعرية هو دراسة " الأدبية" أو اكتشاف الأنساق الكامنة التي تُحدِّد أدبية النصوص، واكتشاف الأنساق الكامنة التي توجه القارئ في العملية التي يتفهم بها أدبية هذه النصوص.**" رامان سلدن: النظرية الأدبية المعاصرة، ترجمة وتقديم جابر عصفور، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة– مصر، ط1،1991م، ص113.

26)- Op.cit, p34.

– كتب "**دي سوسير**" موضّحًا بهذا الخصوص:

"**يمكننا أن نتصور علمًا موضوعه دراسة حياة الإشارات في المجتمع؛ مثل هذا العلم يكون جزءًا من علم النفس الاجتماعي وهو بدوره جزء من علم النفس العام، وسأطلق عليه علم الإشارات (Semiology) (وهي لفظة مشتقة من الكلمة الإغريقية Semeion = الإشارة). ويوضح علم الإشارات ماهية مقومات الإشارات، وماهية القواعد التي تتحكم فيها. ولما كان هذا العلم لم يظهر إلى الوجود، فعلم اللغة هو جزء من علم الإشارات العام: والقواعد التي يكتشفها هذا العلم يمكن تطبيقها على علم اللغة، ويحتل العلم الأخير مكانة محددة بين كتلة الحقائق الأنثروبولوجية.**

27)- Voir ; Todorov : Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage. Éd du Seuil, France, p113.

28)- السيمياء يُقصد بها: "**العلم الذي يبحث في أنظمة العلامات أيًّا كان مصدرها، لغويًا، أو سننيًا، أو مؤشريًا.**" محمد السرغيني: محاضرات في السيميولوجيا، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987، ص5.

29)- إستراتيجية في تفكيك "**الخطابات والنظم الفكرية، وإعادة النظر إليها بحسب عناصرها، والاستغراق فيها وصولا إلى الإلمام بالبُؤر الأساسية المطمورة فيها.**" عبد إبراهيم: م. س. ن، ص114.

30)- Voir ; Jacques Derrida : De la grammatologie, collection, critique, les éditions de minuit, France, 1967, p74.